

البلاغة الجديدة وسؤال المنهج

أ.د. عيد بلبع

منشور في مجلة فصول العدد ١٠١ ، صيف ٢٠١٧م تصدر عن الهيئة المصرية
للكتاب

تقديم

إن مقولة البلاغة الجديدة تستدعي بالضرورة المقولة المضادة لها، المحددة في البلاغة القديمة، وتأمُّلنا لهذه الثنائية التي تبدو بسيطة تفجر ما يستعصي على الحصر من الثنائيات الضدية التي اكتفت البحث البلاغي، فقد كانت البلاغة وما تزال موزعة تحت وطأة الثنائيات الضدية إلى حد تعيم معه قضاياها في ضبايبتها، فإذا حاولنا استكشاف واقعنا بالسؤال عبر الثنائيات وجدنا أنفسنا في مواجهة شبكة متداخلة الخطوط من الأسئلة التي تتدافع تبعا لأهميتها وحضورها الآني.

فهل الأنسب لسياقنا المعرفي العربي هو السؤال عما إذا كنا بحاجة إلى بلاغة جديدة، أم عما إذا كانت البلاغة العربية القديمة بحاجة إلى تجديد؟ أهى بلاغة جديدة تقوم على أنقاض البلاغة القديمة، أم بلاغة قديمة تحتاج إلى التجديد؟ وإن كانت دعوى الجدة ترديدا لمقولة غربية فهل يعلم السياق المعرفي العربي المررد للمقولة ما الذي دفع الغرب إلى التجديد؟ وهل دوافعهم هي دوافعنا؟ وهل تعني الجدة عندهم قطيعة معرفية مع البلاغة القديمة؟ وأي بلاغة قديمة ثاروا عليها؟ وهل ما رأوه يحتاج إلى الجدة في بلاغتهم القديمة نراه نحن يحتاج إلى الجدة في بلاغتنا؟ هل هو انسياقُ التبعية يدفعنا إليه غياب الوعي بذاتنا ويشهد بعجزنا عن تطوير معارفنا، واستسلامٌ يدفعنا إلى استيراد رؤى ومعارف جاهزة لنتذوق وفق مذاق القوم، ولنحاول أن نعي ما وعوا دون أن ندري لماذا وعوا وكيف وعوا؟ وهل حاجاتهم هي حاجاتنا؟ أم أننا لا ندري ما المناسب لنا؟

ثم ما الجديد في البلاغة؟ أو قل: ما البلاغة الجديدة؟ هل تتعلق الجدة بالقول البليغ؟ أم في توجيه البلاغة لتتلاءم مع غايةٍ ما فيكون التجديد هنا هو استعمال الظواهر في توجيه القول نحو غايات؟ هل البلاغة صفة لقول أم إطار لمعرفة؟ وهل تعني مقولة البلاغة نفسها وصفا لإنشاء البليغ أم وصفا لبحث البلاغي؟ هل نبحث في مهارة إنشائية، قول بليغ، أم نبحث في مهارة تحليلية: تحليل القول البليغ؟ أم أننا لا نبحث عن معرفة ولا عن مهارة ولكننا نبحث عن منهج؟ إذا كانت العشوائية هي أخطر ما يصيبنا فإن المنهجية هي ضالتنا.

وماذا نعني منهجيا بنعت البلاغة بالقديمة؟ أعني بلاغة عبد القاهر أم بلاغة السكاكي أم بلاغة ابن وهب؟ هل أصاب دعاة التجديد في تحديد الهدف؟ أو قل هل حاولوا الإجابة عن السؤال؟ أو قل هل تفجر السؤال في العقل البحثي البلاغي العربي؟

إن محاولات التجديد تنطلق من مناطق القصور في البلاغة القديمة نقداً ونفضاً، بهدف إحلال رؤى حديثة محل تلك الرؤى القديمة، كما تنطلق في الوقت نفسه من مناطق القوة في تلك البلاغة، بهدف تنميتها وتطويرها وإثرائها، ولكن الحقيقة تقضي بأنه بقدر ما جاءت قراءات

الغرب لماضيه تكاملية منتجة، جاءت قراءتنا في الغالب استهلاكية أو مُهكّة، بل متطرفة في استهلاكها وفي إنهاكها.

أولا : ثنائية المعيارية والوصفية

إذا كانت الوصفية والمعيارية من الثنائيات التي تكتسب حضورا ضاعطا في الدرس البلاغي فإنه من الضرورات المنهجية أن تُفهم هذه الثنائية ملتبسة بالفروق المنهجية التي تملئها ثنائية البلاغتين الغربية والعربية؛ لأن الفرق جذري بين الرؤيتين، فالفرق بين المعيارية في المنظور العربي ومعيارية الرؤية الغربية القديمة هو الفرق بين معيارية الإنشاء ومعيارية التطبيق، أي معيارية البليغ، ومعيارية البلاغي، فتمّ فرق هائل مفصلي بين الإنشاء وفق قواعد معدة سلفا، ودراسة الإنشاء وفق قواعد معدة سلفا.

ولعل جلاء الفارق بين البلاغي والبليغ وحضوره في ذهن المتخصصين كان من شأنه أن يحسم كثيرا من مسالك الخلط والاضطراب في هذا الدرس البلاغي التّعس، الذي ربما يرجع إلى أن أكثر هؤلاء المتخصصين يفتقرون إلى المنهجية، أي ليسوا أصحاب رؤية منهجية تؤهلهم للتفريق بين قراءة النص البليغ وقراءة النص البلاغي، الأمر الذي جعلها إحدى الثنائيات الملبسة، وجعلها ساحة للخلط والاضطراب في الدرس البلاغي العربي من خلال مظهرين:

يتمثل المظهر الأول في الخلط بين البلاغة بوصفها صفة للقول، وبوصفها منهجا لتحليل القول المتصف بالبلاغي، وبوصفها مجموعة من القواعد التأسيسية للكيفية التي بها يكون القول بليغا، أما المظهر الثاني فيتمثل في الخلط بين البلاغة العربية والبلاغة الغربية، فيما يتعلق بالبلاغة بوصفها منهجا لتحليل القول المتصف بالبلاغي، وفي موقفها من التأسيس للكيفية التي بها يكون القول بليغا، ويصطبغ المظهران بصبغتي ثنائيتين إحداهما منهجية تتمثل في المعيارية والوصفية، وثنائية الظاهرة المتوزعة بين غايتي الإقناع والإمتاع.

لقد كانت المعيارية وجها من أوجه القصور التي سيطرت على الرؤية البلاغية القديمة العربية والغربية، بيد أن ملامح وجودها تختلف بين السياقين، فالبلاغة الغربية تصدر عن تصور معيارى " 1 في القواعد التأسيسية لكيفية القول، أما معيارية البلاغة العربية فتمثلت في الأحكام الصارمة على الظواهر بالصواب والخطأ، أو بالقبح والجمال، فالمعيارية تمثل سلطة القاعدة بوصفها معيارا للحكم بالقيمة والتأطير النظري للظواهر، مما يجعل المعيارية البلاغية تصطدم بالأداء الفني، أو تقف عاجزة عن الإحاطة به.

¹ هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة د. محمد العمري، الطبعة الأولى، الدار البيضاء 1989 ص 18

وقد فطنت الرؤية البلاغية التراثية إلى القدرات غير المحدود للظواهر، فعلى الرغم من محاولات عبد القاهر وضع الأصول النظرية التي تعين على معالجة الاستعارة فإنه لم يغب عنه اللفت إلى تجاوز الاستعارات للمحددات النظرية التي تؤطر لها، ومن ثم جعل عبد القاهر البحث في الاستعارة مفتوحاً، وكأنه بذلك يرسخ خاصية التتبع التي يقوم عليها الدرس البلاغى بوصفه معرفة لا علماً إذ يقول: "واعلم أنى ذكرت لك في تمثل هذه الأصول الواضح الظاهر، القريب المتناول، الكائن من قبيل المتعارف في كل لسان،...، ولم أذكر ما يدق ويغمض، ويلطف ويغرب،...، هذا، وفي الاستعارة بعد من جهة القوانين والأصول شغل الفكر، ومذهب القول، وخفايا ولطائف تَبْرُزُ من حُجُبِها بالرفق والتدريج، والتلطف والتأني" ^٢

ومن ثم فإن هذه المقولات النظرية لا تضع سوى مداخل نظرية للمحدودية الإمكانيات الدلالية والإيحائية التي يمكن أن تتطوى عليها الاستعارة، وإن خلق الاستعارة فوق النمطية والنمذجة، وإن الإبداع الشعري . على وجه الخصوص . يخلق أجيالاً من الاستعارات، وكل جيل له خصائصه التي تتجاوز التقنين والتقييد والتأطير النظري، فالاستعارة إذن حركية متطورة تأبى أن تنحصر ضمن قوالب جامدة تتحكم فيها، وهى "طاقات دلالية لا محدودة، ودراستها محاولة للكشف عن هذه الطاقات المتحركة" ^٣، ومن هنا تأتى نسبية قبول الاستعارة ورفضها، واستحسانها واستهجانها، وقابليتها للتغير في أجيالها المتعاقبة بحيث لا تحتفظ إلا بجذر نظري يعين على إدراكها، "فليس لحسن الاستعارة وسوء الاستعارة مثال يعتمد" ^٤، وعلى المحلل أن يتتبع الاستعارة في تناميها وتجاوزها، وتركيبها وتعقيدها، فيما يمكن أن نطلق عليه: مرونة التلقي، ومن ثم فإن تتبع التفاعل بين طرفي الاستعارة وسياقها هو الجهد الأوفى، ومن ثم يأتي انتقاء التقنين والاطراد في تصنيف الظواهر البلاغية وتحليلها انتقاء للعلمية والمعيارية.

إن اعتماد الأساس التاريخي في التمييز بين بلاغتين يُطلق على إحداها البلاغة القديمة ويطلق على الأخرى البلاغة الجديدة لهو تمييز ملبس خادع مضلل؛ لأنه يحمل اتهاماً ضمنيًا للقديم، ولهذا يأتي التحول بالثنائية إلى المستوى الفني لترتكز المقارنة على التفريق بين بلاغة معيارية وبلاغة وصفية، والاستقراء التام من الإجراءات التي تعين على التتبع الوصفي،

^٢ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط مكتبة القاهرة ١٩٧٩م ج ١ ص ١٧٦، ١٧٧

^٣ د. صبحي البستاني، مقدمة ترجمة كتاب، الاستعارة والمجاز المرسل لميشال لوغورن ترجمة حلاج . صليبيا ط أولى بيروت ١٩٨٨م ص ٧

^٤ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعين، تحقيق على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط الكويت ١٩٧١م ص ٣٠٩

وهو الذي يعتمد العَدَّ والإحصاء^٥، وبانتقاء فكرة المعيارية، وبانتهاء ارتباط الحكم التقييمي بالبعد التاريخي تنتهي ثنائية العلم والمعرفة لتستقر البلاغة في تصنيف المعارف غير القابلة للانضباط المبني على الاستقراء الناقص، وليستقر الدرس البلاغي في المعارف التي تقوم على الاستقراء التام، والاستقراء التام هنا يعني تتبع الظواهر.

وأعود إلى مقولة السكاكي المعروفة في تعريف علم المعاني بأنه: تتبع خواص تراكيب البلغاء، فمهما اختلفنا معها، ومهما وجدنا في حاضرنا المصقول بثقافات ومعارف أخرى عربية وغربية ما يدفعنا دعفاً إلى تجاوزها من بعض النواحي، فإنه يبقى منها أمران على جانب كبير من الخطورة والدقة :

يتعلق الأمر الأول بما تكشف عنه المقولة من نهج الوصفية الكامن في فكرة التتبع وإجراءاته، ويتعلق الآخر بفكرة التمييز بين الظواهر التي يتوفر علم من العلوم على دراستها، إذا فهمنا من قوله خواص تراكيب البلغاء بالطبع أنه يقصد الظاهرة البلاغية التي هي مادة الدرس البلاغي، في مقابل الظاهرة اللغوية العامة التي هي مادة الألسنية (اللسانيات) علم اللغة.

وقد أشار د. محمد عبد المطلب إلى فارق جوهرى يميز منشأ البلاغة العربية من حيث المعيارية والوصفية بقوله : "إن معظم هذه المباحث . يعنى البلاغية . قام على أساس وصفي من دراسة النماذج الأدبية الراقية للشعراء والنثرين ، وقبل هؤلاء وأولئك دراسة النموذج القرآنى باعتباره المثل الأعلى في الأداء الفنى الذي يبلغ مرتبة الإعجاز ، وكان رصد أوجه الحسن في الأداء الفنى بكل ألوانه المعروفة هو بداية الدرس البلاغي والنقدى القديم " ^٦، ولكنه ، إذا كان يشير بذلك إلى فارق يميز نشأة البلاغة العربية في لاعتمادها على وصف الظواهر واستقراءها، فإنه يقرر أيضاً أن مبدأ الوصفية لم يسلم طويلاً : "حيث انقلب إلى معيارية خالصة ، اعتبر فيها البلاغيون أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبى من خلال توصيات قننوها وجعلوها سيفا مسلطاً على رقاب الأدباء " ^٧، وبذلك انتهى الأمر بالبلاغة العربية القديمة أيضاً إلى الطابع المعيارى ، مما أصابها بالقصور الذي أتاح " للأسلوبية الحديثة أن تكون وريثةً شرعيةً للبلاغة القديمة ؛ ذلك أن الأخيرة وقفت في دراستها عند حدود التعبير ووضعت مسمياته وتصنيفها، وتجمدت عند هذه الخطوة " ^٨، إن الفرق بين المعيارية والوصفية هو الفرق بين التقعيد والتتبع.

^٥ د. تمام حسان، الأصول، الدار البيضاء ١٩٩١م ص ١٤

^٦ د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٤م ص ٢٥٨

^٧ المرجع السابق نفسه ص ٢٥٩

^٨ المرجع السابق نفسه ص ٢٥٩

يختلف الأمر في التفريق بين العلمية والفنية، فإن رُفِضَ الخولي للمنطق والفلسفة هو بشكل ما رفضٌ للعلمية، ولكن هذا الرفض هنا ليس لصالح الوصفية ولكنه لصالح الفنية، والفنية عند الخولي تتطابق مع الجمالية الذوقية الفردية، وكأن التحليل الفني هو إعادة كتابة إنشائية ملتبسة بالنتوير على الخصائص الجمالية، ولكنه في النهاية جهد وصفي في مقابل العلمية، وكأنه إعادة صياغة شارحة لجماليات الصياغة في النص موضوع التحليل، وأحسب الخولي بتأثيل المدرسة الفنية قد حصر الفنية في الأثر الجمالي.

وليست هكذا تكون الوصفية، نعم إنها تتبع الظواهر التي من شأنها أن تُحدِثَ الأثر، ولكن الأثر منفتح على ما لا يحصى من النشاط التواصلية الإنساني، فقد يكون إمتاعيا جماليا أو إقناعيا حجاجيا ثم تفتح الوسائط لتستوعب أنماط التواصل الإنساني جميعها لغوية وغير لغوية، إذ لا يقف الدرس البلاغي على استعمال اللغة بل يفتح ليتتبع بلاغة اللون وبلاغة الحركة وبلاغة الصمت.

ومن المحال أن يحاول أحد أن يضع قاعدة لكل ظاهرة، ومحاولة جمع الظواهر في وجودها الحر الحيوي هو خنق لهذه الظواهر ودفع لتردي الإنشاء والاستقبال معا؛ لأن معيار الجمال سيصبح واحدا على مستوى إنشاء الظاهرة، وعلى مستوى تلقيها وفق قواعد معيارية تحدد الأحكام التأثيرية، وقد نشأ عن هذا المسلك خطيئة العقل البلاغي العربي في ذيوع المقولة المدرسية: (سر الجمال) التي قتلت الذوق البلاغي وتسيدها، فأصبح للجمال سرٌّ واحد ثابت ومحدد مع كل ظاهرة مهما اختلفت السياقات والغايات، وراح الدارسون يرددونها وراء معلمهم الذين يلهثون وراء تتبع دعوات التجديد الغربية في أبحاثهم ودراساتهم ورسائلهم العلمية، ثم يرددون مقولة سر الجمال الثابتة الجامدة في قاعات الدرس، يُدرِّسون السكاكي ويُدِّرسون عبدالقاهر ويمارسون القمع معه في قاعات الدرس، يُدرِّسون الرؤى والمناهج الغربية نظريا ويُدرِّسون معايير سر الجمال تطبيقيا.

لم تنشأ المعالجة البلاغية التأسيسية الأكثر ذيوعا عند عبدالقاهر الجرجاني معيارية، فقد كان عبدالقاهر قادرا على طرح التصورات النظرية والتدليل على صوابها ومشروعيتها في مقارنة الظواهر البلاغية بما قدمه من جهود التحليل لظواهر استوقفته، ثم كان السكاكي قادرا على منهج هذه التصورات وعلمنتها بالتصنيفات والتعريفات؛ فقد كانت جهود عبدالقاهر من السخاء والعمق بحيث تصلح أن تُعلَّم، فانطلق عبدالقاهر من تتبع الظواهر، وانطلق السكاكي من تحليل عبد القاهر إلى تععيد القواعد، وتوقف التابعون عند رؤية السكاكي، ليكون السلوك المُستهجن في حياة المعارف والعلوم هو أن يظل التفكير البلاغي واقفا عند الحدود التي نفذت إليها رؤى عبد القاهر، والحدود التي توقفت عندها ممارسة السكاكي، فانفتاح رؤية عبد القاهر كان يمكن استنثاره، وسكون رؤية السكاكي كان يمكن تجاوزه، وظلت البلاغة تنزع إلى أن تكون

معرفة لها حركتها ونشاطها الدائم وطموحها الدائب لانفتاح التحليل، ولكن العقل العربي يُصِرُّ على أن يمارسها علماً محدد الحدود والقواعد مكتفياً بجهد التطبيق الذي استحال إلى قوالب جامدة مُعدَّة سلفاً للحكم بالقيمة الجمالية حتى قالوا بأكذوبة سر الجمال الثابت الساكن الجامد لكل ظاهرة، والغريب حقا هو أن دعوات التجديد في معظمها لم تنتبه ولم تنتبه إلى هذه الحقيقة التي تقوم على هذه المعادلة البسيطة: تتبع الظواهر نشاط وصفي، وتطبيق القواعد ممارسة معيارية، ومنشأ الخلل في الدرس البلاغي هو ثبات (استاتيكية) القاعدة وحيوية (دينامية) الظاهرة وحراكها.

بقاء الرؤية المنهجية في مرونتها، ومرونتها تكمن في طواعيتها لاستيعاب تغيرات الرؤى النظرية، ولاستيعاب طفرات الإبداع المتجاوزة للحدود التي رسمتها بلاغة الشاهد والمثال التي نشأت عليها التصورات النظرية والمناهج، والعلمنة النسبية.

وهنا يكون القول بالمنهجية أجدى من القول بالمنهج والمنهجة المُعدَّة سلفاً، والقول بالتصورات النظرية أنسب من القول بالعلمنة والنظريات المُعدَّة سلفاً، فنسبية المنهجية والتصورات النظرية في مواجهة صرامة العلمية والنظرية، ومرونة المنهج ونسبية الأطر الضابطة من الأدوات والإجراءات أنسب من التقنين الصارم.

والحقيقة التي نخلص بها من هذا الطرح تتحدد في أن البلاغة ليست علماً، ولا يمكن أن تكونه، ليس لأنها لا يمكن أن تكون لها قواعد نظرية ومنهجية، ولكن لأن ظواهرها ليست مطردة ولا يمكن أن تكون مطردة، فهي قائمة على التجاوز والمغايرة واستهداف التفرد والخصوصية، أي أن الخروج من الاطراد هدف من أهم أهداف القول البليغ، وما دامت الأصالة والتفرد والإغراب من أهم ما يسطنعه البليغ وبيحث عنه البلاغي، فسيبقى الاطراد مصطلحاً هجيناً في سياق الدرس البلاغي.

من الطبيعي أن تجمع بين الظاهرة البلاغية بعض الملامح المشتركة والخصائص المتشابهة حال تواردها في النصوص المختلفة، وهذه الملامح المشتركة لا تعني الاطراد إلا على مستوى الرصد والوصف والتصنيف، إنها الملامح المشتركة في التشبيه مثلاً، تلك التي تحدد أن هذه الظاهرة تشبيهاً، وتبقى خصوصية البناء اللغوي وعلاقات الظاهرة مع سياقها اللغوي وتراكيبها النحوية ونسبية البعد والقرب بين الطرفين والغايات الخطابية والوظائف التداولية خصوصيات كبصمات الأنامل، تتأبى على الاطراد، ويرتهن بها التميز والعبقرية الفردية.

وبين الرؤيتين: الوصفية والمعيارية تكمن معضلة الدرس البلاغي، وتشتد الحاجة إلى التخلص من الفكر التقعيدي، كما تشتد إلى التحليل المنهجي بمرونة انضباطه، ومهارة ممارسته على أنه منهج استقرائي وصفي تحليلي يقوم على تتبع الظواهر لا على تطبيق القواعد، فحاجته إلى المهارة مقدمة على حاجته إلى تحصيل المعرفة.

ثانيا : ثنائية السياقين المعرفيين الغربي والعربي

لقد تعددت المواقف وتشعبت من البلاغة Rhetoric في السياقين العربي والغربي وما اتفقا إلا في دعوى التجديد، فقد استحال الأمر بالبلاغة إلى نضرة تتبعث في أوصالها عندما أخذت بعض الدراسات الحديثة تذكر الكلمة موصوفة بالجديدة، والحق أن النظرة الغربية جاءت أكثر عمقاً في تحديد موقفها من البلاغة القديمة، كما كانت أكثر عمقاً في محاولات التجديد في القرن الحالي.

فاتجاه التجديد في الغرب لم يرق بمعزل عن البلاغة القديمة، يستوى في ذلك المحاولات المبذولة لتطوير النظرية البلاغية، أو المحاولات القائمة على نقد التصورات القديمة هادفة إلى إحلال رؤى جديدة محلها، فذهب (ريتشاردز) إلى أن البلاغة القديمة فيها "الكثير الذي يمكن للبلاغة الجديدة أن تنتفع منه، والكثير أيضاً مما يمكن أن يكون مفيداً"^٩، ويؤكد (بيير جيرو) على أن البلاغة أكثر العلوم القديمة انضباطاً، "وأن أسلوبية التعبير كما صممها (باللي) قد نشأت عن البلاغة القديمة ولكن بطرق جديدة، ولذا فإن دراسة البلاغة للصور ماتزال راهنة لم تتجاوزها دراسة أخرى حتى يومنا هذا"^{١٠}، كما نجد كذلك أن النموذج السيميائي المقترح عند هنريش بليت لتحليل النص يقوم على عناصر البلاغة القديمة (الدلالة والتركيب والتداول)، ويقدم بليت مبرراً لعملية إعادة بناء البلاغة بوصفها منهجاً لتحليل النصوص؛ فقد أظهر النسق البلاغي عبر قرون قابلية للاستمرار، ومرونة تسمح بالتمادي في تطبيقه على نصوص جديدة.^{١١}

أما النظرة العربية فقد تحددت في رفض بعض نماذج التداول القديم دون البعض، ولعل نظرة السكاكي ومن تلاه من البلاغيين القداماء كانت أكثر هذه المعالجات القديمة تعرضاً للنقد عند كثير من المحدثين^{١٢}، وإذا كان وصف البلاغة بالجديدة يأخذ في نفي شبهة الرجعية والعقم والجمود عنها، فإنه لم يخلصها تماماً من الاضطراب؛ لأن الجودة في حد ذاتها قد اكتسبت مفاهيم متعددة حتى لكأن كل دارس يحسب أن ما يفعله هو الجديد، الأمر الذي جعل بعض الدراسات

^٩ إيفور أرمسترونج ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة ناصر حلاوي وسعيد الغانمي، مجلة العرب والفكر العالمي عدد ١٣، ١٤، ١٩٩١م ص ١٣

^{١٠} بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية: ترجمة د. منذر عياش، بيروت بدون تاريخ ص ١٧

^{١١} هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ص ١٦

^{١٢} أمين الخولي، مناهج تجديد، دار المعرفة، ط ١، ١٩٦١م، ص ٩٨، د. بدوي طبانة، البيان العربي، ص ٢٠٠ أحمد مصطفى المراعي، تاريخ البلاغة العربية والتعريف برجالها، ص ٣٢، د. شوقي ضيف، البلاغة تطور

العربية القائمة على النهج التقليدي تنسب نفسها إلى الجديد والمعاصرة، مما جعل بعض محاولات التجديد تشتمل في أهدافها على نقض النظرية البلاغية القديمة وأكثر الدراسات البلاغية المعاصرة، ومن ثم لم يعد القول بالبلاغة القديمة كافياً للإحاطة بهذه التناولات الحديثة السائرة على النهج التقليدي، فالقول الأكثر إحاطة هو البلاغة التقليدية؛ لأنه لا يقتصر على القديم بل يشتمل أيضاً على الحديث القائم على الرؤية القديمة.

مثلت تجربة أمين الخولي الدعوة الصريحة للتجديد التي تُعد سبقا عربيا، فعلى الرغم من كثرة دعاوى التجديد فإن قراءة أمين الخولي تمثل دورا رياديا، ومعيار الريادة يتحدد بالعامل الزمني المتمثل في السبق التاريخي، كما يتحدد بأصالة الرؤية وخصوصيتها، كما يتحدد أخيراً بصراحة الرؤية ووضوحها مهما اختلفنا مع بعض تفاصيلها، ربما كان عنوان أمين الخولي "مناهج تجديد" من أسبق الإسهامات التي حملت فكرة التجديد.^{١٣}

ولكن تجربته مع هذا لم تصدر عن مناقشة مدونة علمية واضحة المعالم عنده، ومن ثم غامت الرؤية وانصهر الهدف، حتى مقولة: "قتل القديم بحثاً" أو مقولة "التخلية والتحية" التي ذاعت وراجت لم تكن واقعا محققا عند مروجيها إلى الآن، كانت إلى الأثر العاطفي أقرب منها إلى الموقف المعرفي، ردود أفعال حادة، رفض منجز وإقامة منجز، وهذه الردود الحادة لا تتجزأ علما، بل لا تتجزأ مراجعة معرفية، ولا يدخل نشاطها في فلسفة العلوم، ليس تجديدا بقدر ما هو تسجيل موقف رافض للقديم وقد تراوح فيها بين المسلك والغاية والطريقة، فأما الغاية فهي تجديد البلاغة، وأما المسلك فهو نقد القديم ونقده، وأما الطريقة فكانت عاطفية انفعالية فضفاضة أكثر من كونها علمية، فالعلمية تناسبها العبارة الواضحة المحكمة، ثم إنها لم تُعَرِّه اهتماما لخطاب الحقيقة، فاهتمت بالفن والغاية الجمالية الخالصة.

ومن ثم تنير تجربة الخولي تساؤلات كاشفة منها: كيف يكون الفن منهجا؟ وكيف نعلمنا فنا، أو نعلمنا معرفة؟ ففكرة المدرسة الفنية، أو الأدبية لم تكن لتجدي في مراجعات معرفية، نحاول السيطرة على نسبيتها بالتصنيف ونحن واعون بأن التصنيف لا ينحسم بحدود فاصلة، واعون بمساحات التداخل التي لم تجد معها محاولات الضبط العلمي، ولا أراها تجدي، ولكن إقرارنا بعدم الجدوى ليس راجعا إلى خلل في الرؤية العلمية أو المنهجية ولكنه راجع لطبيعة الظاهرة ومنبعها من النفس البشرية المتشعبة بين العقل والعاطفة بين الفكر والتأثر، المتأثرة بين المواقف والانطباعات وردود الأفعال، المتفاوتة بين البشر في نسبية ردود الأفعال، الخاضعة لنسبية معرفة اللغة والدراية بأسرارها، وكل هذه الأمور لا يستوي فيها اثنان، ومن ثم استعصت

^{١٣} أمين الخولي، مناهج تجديد، مرجع سابق ص ٩٨

على وضع قواعد وقوانين صارمة تحكم الظواهر، فإنها في أحسن حالاتها محاولات تصنيفات نسبية توخذ بوعي بنسبيتها واستحالة صرامتها وضبطها.

كما تظل تجربة الخولي في الوقت نفسه شاهدا على قصور العقل العربي عن العمل المنهجي الجماعي، إذ لم تلق نشاطا بحثيا يضيف إليها ويراجعها ويعدلها ويتجاوزها، ومن ثم اتسمت بالإيجابية في مقابل مسلك أولئك الذين لم يكفوا عن المطالبة بالتجديد والترويج للمنجز الغربي من دعاة التجديد وهم ليسوا مجددين، يشعرون أن الملائم هو المنجز الغربي لكنهم لم يقدموا : ما الملائم فيه، ومن ثم لم يقدموا منهجية رؤية، ولا هم قدموا رؤية منهجية، تجد لهم صوتا مرتفعا دعائيا ترويجيا ولا تجد لهم بصمة واحدة في رؤية جديدة، يوشون كتبهم ومقالاتهم بأسماء ومصطلحات توهم بالعصرنة، وما قدموا شيئا يصلح أن يوصف بالعصري.

ثمّ معضلات في قراءة القديم والجديد ليس من الأمانة ألا نتوقف عندها، منها ظاهرة الربط في العقل بن السياقين المعرفيين الغربي والعربي، فهل هو تلاقٍ موجود وقائم بالفعل وثابتٌ لرؤى في المنجز العربي والمنجز الغربي؟ أم هو محاولة لتحقيق الشرعية العلمية بالتماس أسبابها في التمسُّح بتوافقات واهية أحيانا، ومختلقة أحيانا؟

وهل الذين يروجون لتوافقات بين المنجزين يشهدون على أنفسهم بالغفلة في قراءتهم للتراث، فلم يعوا ما فيه من نظريات وأعماق فكرية إلا بعد أن نبهتهم إليها معطيات هزل بها المروجون للأفكار الغربية، حتى لكأن ذبوع نظرية غربية أو منهج يحمل اتهامها ضمنا للعقل العربي بالعجز والضمور والفقر، ومن ثم تأتي رؤية التماس التوافقات سلوكا دفاعيا.

لقد جاءت تجربة الخولي شاهدا على أن البونَ شاسع بين الرؤيتين الغربية والعربية في النظر إلى الجِدَّة في البلاغة، فبينما ذهبت الرؤية الغربية لترسيخ بلاغة خطاب الحقيقة بأنماطه المختلفة نجد الموقف العربي يذهب إلى ترسيخ الجمالي، فلقد كان الاقتراح العربي بالتجديد في رؤية البلاغيين (المشتغلين بالدراسات البلاغية) من منظور أمين الخولي (١٩٦١م) شاخصا إلى اتجاهي ثنائية التحليل الفني والجمالي وأطلق عليها المدرسة الأدبية في مقابل المدرسة الكلامية التي انصرف اهتمامها برصد الظواهر وتصنيفها وتعريفها تعريفا منطقيًا، فمن أهم خصائص المدرسة الكلامية عنده تميزها "بالتجديد اللفظي والروح الجدلية والعناية بالتعريف الصحيح، والحرص على القاعدة المحددة، مع الإقلال من الشواهد الأدبية، والاعتماد على المقاييس الفلسفية من خلفيات، وطبيعيات، ونحوها، وعلى القواعد المنطقية، في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه وردائه".^{١٤}

^{١٤} أمين الخولي : مناهج تجديد ، مرجع سابق، ص ١٢٦ .

ثم رُوج الخولي للمدرسة الفنية لقيامها على أساس ذوقى جمالي ترقى معه البلاغة بعيدا عن الفلسفة والتعقيد الناتج عن الخضوع للمنطق، فرأى أنه: "يجب أن نؤيد المدرسة الفنية، ونؤثّل تلك الأبحاث الجديدة،... ونهجر المدرسة العلمية في دراسة البلاغة، ونمضي إلى ذلك التجديد بقدم ثابتة لا تخشى خطرا ما، لأنه تجديد تاريخي وطيد الدعائم".^{١٥}، ولنا أن ننبه إلى تزامن صدور كتاب بيرلمان وتيتكاه ١٩٥٨م مع كتاب أمين الخولي ١٩٦١م، ولا أراني بحاجة إلى أن ألفتك إلى خصومة الخولي للفلسفة، على حين جاء كتابا الشعر والخطابة من تأليف أرسطو في البلاغة الغربية !!!

ومن ثم نجد أن الدرس البلاغي العربي في القرن الماضي انصرف تماما إلا لتقليص مهمة البلاغة في الأبعاد الجمالية غير عابئ بما سوى الجمال، وكأن سياق الحقيقة ليس له وجود أو ليس له قيمة عند القائمين على الدرس البلاغي، ومن غرائب الأحوال أن هذه الرؤى ما تزال راسخة في الدراسات البلاغية العربية.

٢- تلقى السياق العربي مقولة التركيب الوصفي: (البلاغة الجديدة) دونما تدقيق في الثنائيات أو تمحيص لمعرفة الغايات، فأية بلاغة هي الجديدة؟ وفي مواجهة أية بلاغة قديمة؟ كما جاء هذا التلقي العربي سلبيا كعادته فلم يعبأ بتأمل ثنائية السياقين المعرفيين المختلفين جذريا، فبينما ينشد السياق الغربي الحقيقة ينشد السياق العربي الجمال، وإذا تجاوزنا هذه الوقفة لنتدبر مقولة: (البلاغة الجديدة) في سياقها وجدنا أن ماجاء به بيرلمان وتيتكاه ليس بلاغة جديدة، ولا هي بلاغة مجددة، فلم تمثل ثورة معرفية؛ فالثورة بشكل مؤكد هي ثورة على أنقاض رؤى قديمة، وتقوم على حجة جديدة، فإذا كانت ثورة رؤى ومفاهيم، فهي ثورة على مفاهيم ورؤى مستقرة في الماضي، وهذا يعنى أنها نقلة مغايرة للثابت والمستقر في المفاهيم، وثمّ فرق هائل بين القطيعة المعرفية والنقلة المعرفية: "فهناك نوعان مختلفان من التقدم في المعرفة: أحدهما يناظر نقلة جديدة (حجة جديدة) ضمن نطاق القواعد المستقرة، والثاني يناظر ابتكار قواعد جديدة"^{١٦}، فالحجة الجديدة التي تأتي في نطاق القواعد المستقرة يمكن أن نفهم في ضوءها النقلة المعرفية وهو ما كان بالفعل من بيرلمان وتيتكاه.^{١٧}

ربما ما لم يزد بيرلمان وتيتكاه عن بلاغة أرسطو سوى رصد المزيد من أنماط الخطاب، ورصد الظواهر اللغوية واشتغالها في عملية التواصل الحجاجي الخاصة بكل نمط فيها، وهذا يعنى الوصفية القائمة على النظر الثاقب في رصد الظواهر وإدراك الفروق اللغوية في كل نمط بوصفه استعمالا مغايرا، إنهم فقط واعون بأنهم حريثون في أرض خصبة معطاء مؤهلة للتجاوب

^{١٥} أمين الخولي: مناهج تجديد، البلاغة وأثر الفلسفة فيها، ص ١٧٥

^{١٦} جان فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحدائى، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات القاهرة ١٩٩٤، ص ٦١

^{١٧} د.عيد بلبع، سلطة الجذور، ط دار بلنسية، القاهرة ٢٠٠٨م ص ٥٤

ولا يتطلب تجاوبها سوى النظرة المدققة الثاقبة الراصدة لكل ظاهرة، ثم القدرة على تصنيف الظواهر وتحليلها وبيان الكيفية التي بها أدت هذه الظواهر الغاية، ومن ثم فإن وصفها بالبلاغة الجديدة يتحدد في رصدها لأنماط جديدة من التواصل اللغوي، والتتبع الوصفي التحليلي لظواهرها، والحقيقة أن الكتاب لم يرد فيه ادعاء التجاوز لبلاغة أرسطو بل أقر بحقيقة أنه جهد مضافٌ مُكَمَّلٌ مُنَمَّمٌ.

٣- إن قراءة الغرب لثنائية القديم والجديد قراءة تكاملية، فلا تنتكر أكثر الرؤى حداثة لأقدم الرؤى الضاربة في أعماق الماضي، ونقف عند نموذج قراءة أمبرتو إكو U. Eco لجهد تراث البلاغة في نظرية إنتاج العلامة في كتابه A Theory of Semiotics :

يجب أن تأخذ عملية إنتاج العلامة في حسابها الجهد المبذول لتكثيف الشفرة، ومن المعروف أن هذا النشاط يسجل تحت عنوان البلاغة ولإفادة منه نقف على ما يلي:
أولاً: بأى شكل توضع المستويات البلاغية التقليدية في نسق السيميوطيقية.
ثانياً: بأى كيفية تتعدى بعض المشكلات المتعلقة بتكثيف الشفرات النسق البلاغي المعتاد، ونبحث عن أحد أمرين: بلاغة جديدة ذات اتجاه سيميوطيقي، أو عن إفرازات لفروع ذاتية وجديدة للسيميوطيقية.

ثالثاً: بأى كيفية تدخل بعض المناقشات عن الأيديولوجية والخطاب الأيديولوجي في نطاق بلاغة سيميوطيقية، وكيف تُدرس المشكلة الرئيسية للأيديولوجية من وجهة نظر سيميوطيقية.

ولنحاول تلخيص موضوعات البلاغة القديمة، والنظر إليها نظرة شمولية، من أجل تحقيق هذه الأهداف، وإضافة عناصر محددة لم تأخذها البلاغة القديمة في الاعتبار، ولكن البلاغة الجديدة . بالاتجاه السيميوطيقي أو بدونه . تأخذها في الاعتبار، أو يجب أن تأخذها في الاعتبار.

كان البلاغيون القدماء ينظرون إلى البلاغة التي هي عملهم بوصفها فناً للإقناع، ولكن الإقناع لم يكن بالضرورة أداة خادعة، ولكنها، بالأحرى، كانت صيغة اجتماعية للإقناع، الذي لا يتعامل مع المبادئ الصارمة: "المنطق الصوري، الماهية، وعدم التناقض، وإبعاد مبدأ الوسطية" وبناء على هذا لاتستعمل القياسات المنطقية القاطعة.

ومن ثم فالبلاغة كالجدل تتعامل فقط مع الافتراضات المحتملة، (والتي تكون بناء على هذا مفتوحة للمناقشة)، وبينما يهدف الجدليون إلى أن يستخلصوا نتائج مقبولة من هذه الافتراضات، بعلل منطقية مقنعة، فإن البلاغة كانت تتعامل بصراحة مع القياس المنطقي المُعطى أيضاً من الافتراضات المحتملة، ولكن لكي تبلغ التأثير النفعي والعاطفي على المستمع.

وفى عهد قريب قامت البلاغة الجديد التي ظهرت على يد (بيريلمان ١٩٥٨) بحصر محدد وقاطع للنصوص ذات النُظْم البديهيّة فقط وحدها، وصنفت أنواعاً أخرى من الخطاب، من الفلسفة إلى السياسة أو علوم الدين، تحت عنوان البلاغة، ولذلك فإن كل التفكير الإنساني المختص بالحقائق، القرارات، الآراء، المعتقدات، والقيم، لم يعد مرتكزاً على سلطة العلة المطلقة، ولكنه تداخل مع عناصر عاطفية، وتطورات تاريخية، ودوافع نفعية، وبهذا المعنى لا تأخذ البلاغة الجديدة في اعتبارها النصّ المُقنع بوصفه إجراءً مخادعاً بارعاً، بل بوصفه نظاماً (تكنيك) سديداً فى التفاعل الإنساني، محكوماً بالشك ومُعرضاً بوضوح لبعض الظروف فوق منطقية Extra logical conditions.

وإذا تم تلقي البلاغة بهذه الطريقة فإنها تمثل واحداً من المظاهر المعقدة لإنتاج العلامة، يتضمن اختياراً من عطاء الافتراضات المحتملة ... (إلغاء أشكال أخرى من المنطق الرفيع) والضرورة الشكلية للتعبيرات مع الصور البلاغية، هذا النشاط له قواعده الخاصة (التي وضع بيريلمان كثيراً منها) وفى آخر التحليلات كانت هذه القواعد موضوع سيميوطيقية التفاعل المحادثاتي، المُتطلب الأساسي لهذا النشاط هو احترام القواعد، وأحد أهم هذه القواعد يتمثل فى الإدراك الواضح لعدم وجود جهة واحدة للافتراضات، وقبول مبدأ:

(تحت الظروف المتغيرة يمكن للموضوعات أيضاً أن تتغير)

ولكن ثمّ سلوك شاذ لنفس النوع من إنتاج العلامة، الذى ينتج خطاباً أيديولوجياً (وتحت هذا العنوان نصنف كل أشكال الدعاية المخادعة، وإقناع العامة، وكثير من التصريحات التى تسمى بالتصريحات الفلسفية)، وأقصد بالنص الأيديولوجى ذلك النوع من الحجاج الذى يحاول - أثناء استخدام الافتراضات المحتملة، والأخذ فى الاعتبار جزءاً بسيطاً من معطيات حقل الدلالة - أن يُطوّر جدالاً حقيقياً، ومن ثمّ يغطى الطبيعة المناقضة للنظام الدلالى العام، ويقدم وجهة نظره كما لو كانت الناتج الوحيد الممكن، سواء أكان هذا الاتجاه مُتبنّى بواسطة المرسل، عمداً وسخرية، لكى يخدع مخاطباً ساذجاً، أو أن المرسل يعتبر ضحية نظريته ذات الاتجاه الواحد.

لقد وصمت البلاغة بسمعة سيئة فى القرنين الماضيين، بسبب الطريقتين اللتين كان يُنظر بهما إلى فكرة الصور البلاغية، فطبقاً للمنظرين القدماء فإن الصور البلاغية نظام من عدم التوقع يزود بقواعد استبدال كلمة، بمفهوم معين، بكلمات ومفاهيم أخرى، وبهذا المعنى فثم قواعد توليدية للتشفير المكثف.

لقد أنتج الاستعمال البلاغى . على مدى قرون . قدراً من التعبيرات البلاغية الثابتة، وقد غدت البلاغة آنذاك - بدءاً من نظرية الأنماط الخاصة فى التلاعب باللغة، شيئاً فشيئاً - مستودعاً أمثلة سابقة التجهيز لهذا التلاعب.

وتأسيساً على هذا فإن البلاغة كانت تعني باستمرار أنها ذخيرة من الجمل الجاهزة تُقدّم بوصفها نماذج للكتابة الجيدة، أو الحديث الجيد، وتشتمل هذه الذخيرة على أدوات أسلوبية مجربة من قبل، مع مفهوم مكثف بوصفه شفرة فنية، وهذا نوع من إنتاج العلامة وفق رؤية المرسل التي تجذب الجمهور باستخدام صيغ جربت من قبل واكتسبت مكانة موثوقاً بها، أو دلالات مؤسسة من قبل بقيمة عاطفية محددة تدل على مشاعر نقية.^{١٨}

وقد عرض ريتشارد برادفورد Richard Bradford للأسلوبية على أنها امتداد للبلاغة الغربية القديمة:

فذكر أن " الدراسة الأكاديمية للأسلوبية ابتكار القرن العشرين ينبغي أن تبدأ واضحة في نصب أعينها علاقتها بالبلاغة بوصفها جدّها المعروف.

وقد اشتق مصطلح " البلاغة Rhetoric " من الكلمة اليونانية " فن القول Techne Rhetorike "، وهو فن استعمال الخطابة بوصفها وسيلة للإقناع، فالشخصيات الموجودة في ملاحم (هوميروس) تستغل اللغة وتعترف بقدرتها في التأثير وتحديد الأحداث غير اللغوية، وفي القرن الخامس ق . م بدأ الإغريق القاطنون في جزيرة صقلية في دراسة الوثائق وتدريس البلاغة بوصفها نظاماً عملياً، والعلمان المعروفان : كوراكس Corax و تسياس Tisias ، هما اللذان أسسا - في جزيرة محفوفة بالخلافات القضائية والسياسية على الأرض والحقوق المدنية - لكون فن الإقناع مهنة مفيدة ومريحة .

وقد زار (جورجياس Gorgias) . وهو واحد من تلاميذهما . أثينا سفيراً، ويُنظر إليه على أنه الشخص الذي انتقل بالبلاغة أعلى من وظيفتها القضائية إلى نطاقات الدراسات الفلسفية والأدبية.

إن سقراط هو أول من بسط الفوائد الأخلاقية والجمالية لفن القول، وواحدة من محاورات سقراط القديمة التي سجلها إفلاطون تحمل اسم (جورجياس Gorgias)، إنه مع إفلاطون نواجه أكثر اللحظات ذات المغزى في تاريخ البلاغة القديم، ففي محاورة (فيدراس Phaedrus) يقرر سقراط وإفلاطون أن الإنسان لن يستطيع أن يتكلم بصورة سليمة في أي شيء إذا لم يصطنع الرؤية الفلسفية، إن الفن الحقيقي للتكلم ... الذي لا يعبأ بالحقيقة محكوم عليه بالفناء، ولن تقوم له قائمة، إن الذي كان يشغل أفلاطون حقيقة أن: البلاغة أداة بدون موضوع أخلاقي أو جمالي، وفي محاورة (جورجياس Gorgias) يسجل إفلاطون محاورة بين سقراط وجورجياس يدعى فيها الأول أن الإقناع يمكن مقارنته بالتملق، والبلاغة - وفق قول سقراط - ليست فناً ولكنها نظام ثابت (روتين)، وكل نظام ثابت (روتين)، إذا تحكّم في وسيلة تواصلنا الأولى، يؤدي إلى الغرور

والتطلع وتعظيم الذات على حساب الحقيقة الكلية والحكمة، مبادئ موضوعات الفلسفة، إن إفلاطون نفسه . خصوصاً في محاوره (فيدراس Phaedrus) . لم يصل إلى حد تحريم البلاغة، ولكنه يرى أن البلاغة يجب أن توضع جزءاً غير أساسى فى بحث الفيلسوف عن الحقيقة .

أما أرسطو . فى فلسفته . فقد بدأ أول هجمة مضادة على فكرة إفلاطون المناهضة للبلاغة، فالبلاغة فن من وجهة نظر أرسطو، وحالة ضرورية للمناقشة الفلسفية، وليس عملاً مخلاً خطيراً أو غير أخلاقى أن نستخلص نفس الحقيقة أو برهاناً مصاعاً فى أشكال لغوية مختلفة، فإدراك كون الكلمات يمكن أن تصف، أو تميح حقيقة قبل لغوية، جزء من تمريننا العلى على جانب كبير من الأهمية لمن يهدف الوصول إلى الحقيقة، وقد واجه أرسطو ادعاء أن البلاغة خطيرة اجتماعياً وسياسياً بادعاء مناقض يتحدد فى: أن الطاقة الإقناعية للكلام هى التمكن من السبق، بإفراغ المظاهر الطبيعية العنيفة للكبت والدفاع، والإحلال محلها.

إن التبادل بين إفلاطون وأرسطو لم يذهب بعيداً عن البلاغة بوصفه إضاحاً للحد الطبيعي للبلاغة، وهذا معاد فى الإشارات الأرسطية فى عمل البلاغيين الرومانيين ذائعى الشهرة (سيسيرو Cicero و كوانتيليان Quintilian)، وكذلك تظهر فى كتابات (أوغسطين Augustine) وفى جدليات (بيتر راموس Peter Ramus) ١٥٥٥م، وهو واحد من العلامات التأسيسية فى إحياء البلاغة التقليدية أثناء عصر النهضة الأوربية، والشىء ذو المغزى أنها جاءت بمثابة الأساس النظرى (العمود الفقرى التنظيرى) الذى يربط البلاغة بالأسلوبية، والأسلوبية بدورها بكل مكونات النظام المعاصر للإنسانيات: اللسانيات والنبوية وما بعد النبوية. لم يختلف إفلاطون وأرسطو على تعريف البلاغة، ولكن الاختلاف بينهما ظهر فى العلاقة المعقدة بين اللغة والحقيقة، إن البلاغة - وخصوصاً فى روما وفى تعليم ما بعد عصر النهضة - كانت تُدرّس بوصفها قواعد غير عادية، إنها تزودنا بمصطلحات وتفسيرات عملية للحدود التى تمكننا اللغة بواسطتها من إنجاز مختلف مهام الإقناع، حجاجاً ومناقشة، وفى العالم المثالى - وفق مقولات أرسطو - ستوصل هذه المهام إلى المنفعة الشخصية والعامة، وسوف يعرف البلاغى الحقيقة، وسوف تستعمل أساليبه اللغوية لإظهار هذه الحقيقة، وفى العالم الواقعى - وفق مقولات إفلاطون - تكون البلاغة سلاحاً مستعملاً فى جذب المستمع لمسايمة مناقشة معينة لإرضاء مطامع المتحدث الشخصية، وفى هذه الحالة لن يكون للمتحدث أو المستمع علاقة بالحقيقة، هذان النموذجان للاستعمال البلاغى ممكنان تماماً، ولا يمكن أن يُتلافيا، فالأكاذيب والاختلافات والمبالغات حقائق لغوية.

وعلى سبيل المثال، إذا قلت لك إننى صديق شخصى لأرسطو، فإن الحقائق المعروفة ستكون كافية لتقنعك بأننى لا أقول الحقيقة - إلا إذا كنت تؤمن بالروحانيات - ولكن تصريحاً كالاتى: "إن أرسطو يكلمنى عن الفائدة العامة للبلاغة" سيكون مقبولاً لأنه يتضمن استعمال أداة

بلاغية معروفة، إن أرسطو لم يتحدث إلى حرفياً، ولكن استعمال المصطلح يدل على أن كلماته المكتوبة تتضمن المصدقية، أو أن العلاقة المباشرة للكلام أتيحت بالاعتقاد الأسلوبى البلاغى. إن ما فعلته هو أننى اس عملت أداة لغوية لأشوه الحقيقة قبل اللغوية، وأحقق تأثيراً عاطفياً فى الوقت نفسه، والسبب الذى من أجله فعلت ذلك هو أن أزود مكونات برهانى بقوة إقناعية زائدة عن مصداقية أفكار أرسطو.

إن اجتياز حدود الأسلوب الموصى به كان ينظر إليه على أنه كتابة سيئة، ولكن الأكثر سوءاً من ذلك أن تُستخدم هذه الأدوات البلاغية، التى هى ضمناً أدبية، فى اللغة غير الأدبية^{١٩} ثم يناقش بعد ذلك حظر استعمال الصور البلاغية من قبل القضاة لأنها تشوه الحقيقة، ذلك الرأى الذى يتوافق مع مقولات افلاطون، إلا أن بانتهاج يرى أن الوظيفة الشعرية لا تمتد إلى التأثير فى الأنشطة الخاصة بالحياة الفعلية، وأنه فى الأدب مسموح أن تشوه الحقيقة؛ لأن الأدب بعيد عن النصوص التى لها تأثير فعلى على الظروف الواقعية للقراء.

ثم يعقب (ر. برادفورد) بقوله: " إن الذى قاله بانتهاج سنة ١٥٨٩ يصدق حتى الآن: فإن النصوص الأدبية وغير الأدبية قد تشترك فى عدد من الملامح الأسلوبية، ولكن النصوص الأدبية لا تدخل تحت طبقة اللغة الوظيفية (مثل اللغة القضائية أو اللغة الدينية) والسؤال الأكبر الذى اهتمت به الأسلوبية أكثر من البلاغة: كيف نحكم الاختلافات بين الخطاب الأدبى وغير الأدبى؟"^{٢٠}

وبذلك يدخل (برادفورد) بنا فى المرحلة الثانية التى تتمثل فى العلاقة الحديثة للبلاغة بالأسلوبية إذ تتخذ العلاقة شكلاً جديداً يصبح الدرس الأسلوبى فيه أحد مفردات الدرس البلاغى. إذا تأملنا سؤال برادفورد السابق: كيف نحكم الاختلافات بين الخطاب الأدبى وغير الأدبى؟ فإن ذلك يقودنا إلى تناول الع لاقة بين البلاغة والشعرية؛ لأن هذه الاختلافات تدخل فى جوهر مفهوم الشعرية التى تهدف إلى اكتشاف الخصائص الأدبية داخل الأعمال الأدبية، وقد أشار برادفورد إلى اهتمام المحدثين بالوقوف على الخصائص المميزة للغة الأدب، فالنقاد المحدثون والشكليون، فيما يقول، هم الورثة لأنظمة البلاغة، لاعتقادهم فى صلاحية معطياتها للتمييز بين الأدب والأنواع الأخرى من الخطاب اللغوى، "وقد حاولوا صياغة تحديد هذا الفرق فى مصطلحى: الأسلوب والتأثير، وقد امتد اهتمام البنيوية فى الوقت نفسه إلى مناقشة هذه القضية بتركيزها على أوجه التشابه والاختلاف بين الخطاب الأدبى وغيره من ألوان الخطاب، أما ما بعد البنيوية فقد انتقلت إلى مرحلة أبعد من ذلك بأن قدمت للقارئ العلاقة بين الأسلوب

Bradford. R : Stylistics , London, 1997. P.10 ^{١٩}

Bradford. R : Stylistics P.10 ^{٢٠}

الأدبي والأسلوب غير الأدبي ، وطرح ت التساؤل إذا كانت توقعات المستقبل يمكن أن تحدد التأثيرات الأسلوبية والمعنى " ٢١

ويذهب (برادفورد) إلى تقسيم المعالجات الحديثة المختلفة للأسلوب إلى نوعين هما: النصية والسياقية قائلاً " الشكليون والنقاد الحداثيون بالتحديد نصيون، بمعنى أنهم ينظرون إلى الملامح الأسلوبية لنص أدبي ما على أنه وحدة كاملة، لا يدركون الأسلوب الأدبي كشيء منتمٍ كلية إلى الأدب . فالإيقاع يعتبر من عناصر لغة المخاطبة، واللامح القصصية كذلك في المحادثة العادية . ولكن عندما تتجمع هذه الملامح الأسلوبية لكي تتحكم في نسيج النص، فهذا النص ينظر له على أنه أدبي، أما السياقية فتتضمن مجموعة من الطرق الأكثر اتساعاً، وتتمثل الخاصة المميزة لها في تركيزها على العلاقة بين النص والسياق " ٢٢ ، وإذا استرجعنا قوله السالف الذي يقرر فيه أن "النقاد الحداثيين والشكليين هم الورثة لأنظمة البلاغة" وخرجنا من خصوصية الرؤية إلى دلالاتها العامة في منهج قراءة التراث أدركنا تألق تكاملية الرؤية الغربية التي تأتي كل فكرة فيها تخصيصاً للمنظومة الفكرية التي تتمخض عن بناء العلوم والمعارف بنهج مطرد لا يعرف الإقصاء المعرفي ولا التجاهل.

٣ - الحق أننا لا نعدم مثل هذه النهج التكاملي في رؤى بعض بلاغيينا وبلغت د. محمد العمرى إلى خصائص يمكن استثمارها في البلاغة العربية القديمة بقوله : "إن المتأمل لنشأة البلاغة العربية وتطورها سيلاحظ كيف أن حضور المخاطب قد أدى إلى كثير من الظواهر التي تستحق التسجيل وتدعو إلى إعادة قراءة التراث البلاغي العربي ومساءلته وتصنيفه من جديد، إذ سيلاحظ وجود بلاغيتين متميزتين ومتمكاملتين: بلاغة الخطابة وبلاغة الشعر " ٢٣

وليس ثم من شك في أن هذه الثنائية تدخلنا حتماً في ثنائية الحقيقة والجمال أم ثنائية الحقيقة والخيال؟ الخيال والتخييل كشف واستكشاف وإعادة ترتيب الأشياء وصهر للحقائق في علاقات تخيلية خاصة، ولا ننكر أن يتولد الجمال من هذا النشاط الخيالي التخيلي، ومن ثم تكون الحقيقة في أحد جوانب الثنائية ويكون الخيال والجمال في الجانب الآخر.

إن نظرة عجلى إلى الأرقام تقف بنا على حقائق مفزعة في مسارات اهتمام العقل البحثي المصري في آداب اللغة العربية في القرن العشرين، إذ نجد الرسائل الجامعية من الرسالة رقم ٩٤٣ ص ١٥١ إلى الرسالة رقم ٢٩٤٥ رسالة في الشعر ص ٢٩٩، أي ٢٠٠٣ رسالة في الشعر، يُضاف إليها عشرون رسالة في النقد تتناول نقد الشعر، أما النشر فيبدأ من ٢٩٤٦ إلى

٢١ R.Bradford : Stylistics.P.10,11

٢٢ R.Bradford : Stylistics. P. 12,13

٢٣ د. محمد العمرى، نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص ١٢٥

٣١٤٠ بمجموع ١٩٤ رسالة جامعية في النثر، تتوزع بين الكتابة والخطابة والرسالة والمقال والمنافرة والمفاخرة والسيرة الذاتية والرحلة والمقامة وسجع الكهنة والحكم والوصايا والأمثال والترجمة الأدبية والتوقيعات والسرد القصص ي بأشكاله المختلفة في التراث، كما نجد رسالة واحدة في كتاب البرهان، رقم ٧٣٢ موضوعها: المباحث البلاغية في كتاب (البرهان في وجوهه البيان) لابن وهب الكاتب، أحمد فريد إبراهيم أبو سالم، ماجستير ١٩٩١م جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، القاهرة، إشراف فرج كامل أحمد سليم.^{٢٤}

وليس ثم من شك في أن الغالب على بلاغة الشعر إمتاعية تخيلية جمالية، وأما رسائل النثر فلم تأت خالية من تتبع الظواهر الجمالية لتحقيق الغاية الإمتاعية، بل غلبت عليها هذه الغاية، أما رسالة كتاب البرهان فيغلب عليها الرصد والتصنيف، هذه القراءة العجلى تبين مدى انحياز الاهتمام العقل العربي بالغايات الإمتاعية الجمالية، والظاهرة تتطلب دراسات متأنية يضيق عنها المقام المحدود، فثم سوالات عن حقيقتنا ومساءلة أنفسنا عن مواقفنا في رؤيتنا الانتقائية للخطاب الذي نقوم بدراسته؟ هل نبحت في القول البليغ عن الحقيقة، أم نبحت عن الجمال، أم نبحت في الخطاب الجمالي ولا نهتم بخطاب الحقيقة على الإطلاق؟

لسنا عاجزين عن إدراك الحقيقة ولكننا لم نستكشف حقيقة قدرتنا ولم نسع إلى استكشافها، ربما لأن الجيل الأول صاحب دعوات التجديد في النصف الأول من القرن العشرين لم يشغله هذا التفريق أو قل لم يلتفت إليه ومن ثم لم يعبا به..

ألأن الانشغال بالجمال أيسر من الانشغال بالحقيقة؟ أم لأننا أمة حسية، فالجمال أدخل في الحسي والحقيقة أدخل في المعنوي؟ أم لأن المتعة هي أكبر في اهتمامنا من التفكير؟ ربما لهذه الأسباب جميعها أو لسبب منها أو لسبب غيرها.

خاتمة : الوصفية والمقاصد

إذا كانت الغايات هي منتهى طموح القول البليغ، فإن تحقيق الغاية هو أقصى درجات نجاعة القول، وهذا المنتهى نفسه هو ابتداء الدرس البلاغي، فبقدر ارتباط القول عند المنشئ بالغايات والمقاصد، يرتبط الدرس البلاغي بها أيضا، ومن ثم فإن الدرس البلاغي هو بحث في إدراك الكيفية التي يؤدي بها الكلام الغاية منه وبيانها، ونجاعة البلاغي مرتبطة أو مرهونة بنسبية الإدراك، ومدى الكفاءة والقدرة على بيان كفايات الأداء، أي مرهونة بالمهارات الخاصة التي تطمح إلى أداء نشاط التتبع.

^{٢٤} د. محمد أبو المجد علي البسيوني، ببليوجافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين، الأدب العربي والبلاغة والنقد، ط ١ دار الآداب، القاهرة

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على استعصاء البحث البلاغي على العلمنة، فمن العسير أن نعلمن قولاً شديداً خصوصية والتفرد، بل إن مشروعية وجوده تكمن في تجاوزه الدائم للمستقر، فالقول البليغ دائماً ينشد التميز وينزع إلى الإغراب ويهدف إلى التفرد، وهذا يوجه البحث البلاغي إلى إدراك العناصر المشتركة، وإدراك موازٍ لعناصر التفرد، وإدراك الكيفية التي تحقق التفرد والتميز والخصوصية والإغراب في ظل أسرار العناصر المشتركة (القولب) وضواغتها الانضباطية وإكراهاتها المنهجية؛ لأن الظواهر البلاغية ليست مُطَرَّدة ولا يمكن أن يتحقق لها الديمومة إن اطردت؛ ففي اطرادها فناؤها، الظواهر البلاغية يمكن أن تجمعها بعض الملامح المشتركة، ولكنها لا تفيد إلا في الرصد والتصنيف والتوصيف، أما التحليل فكل ظاهرة هي وجود قائم بذاته، له ملامحه الخاصة، كالأصابع للإنسان لها سمت واحد، ولا تتطابق بصماتها.

إن الرؤية التي نطرحها هنا تنطلق من موقف منهجي يتحدد في أن التفريق بين الرؤية البلاغية للظواهر المختلفة تختلف من خطاب إلى آخر، وهذا هو واقع المغايرة في الظواهر الذي لم تلتفت إليها الرؤية البلاغية العربية، فالظواهر البلاغية يختلف وجودها في الخطاب الشعري عن وجودها في الخطاب الحجاجي والخطاب التعليمي، ومن ثم تضع هذه المحاولة في حسابها هذه المغايرة في أنواع الخطاب بهدف استنباط الرؤية البلاغية من استقراء الظاهرة نفسها، وذلك في ضوء الأبعاد السياقية والعناصر التداولية التي تمثل أحد أهم أركان خصوصية الخطاب.

تنطلق هذه الحقيقة المعرفية من ضرورة ربط التحليل البلاغي بالمقاصد، ومن تصورنا العام لاختلاف الظواهر البلاغية تبعاً لاختلاف أنواع الخطاب وغاياته، فكل نمط من أنماط الخطاب بلاغته الخاصة، ولا يمكن لرؤية بلاغية مستنبطة من خطاب ما أن تصدق تمام الصدق على غيره من أنماط الخطاب، فللقرآن الكريم مقوماته البلاغية التي تحقق غاياته، وللحديث النبوي الشريف مقوماته البلاغية التي تتواءم مع غاياته، وللخطابة بلاغتها، وللشعر بلاغته، وللرسائل بلاغتها، ولكل جنس من أجناس الأدب بلاغته التي تستنبط منه استنباطاً ولا تفرض عليه خصائص بلاغية مستنبطة من جنس آخر، وخالصة هذه الرؤية تتحدد في أن الدرس البلاغي إنما هو تتبع ظواهر لا تطبيق قواعد، وهذا هو ما نعنيه بالمنهج الوصفي.

وقد أبانت كلمات فان دايك Van Dijk عن وظيفة البنيات البلاغية، إذ أشار إلى أن هذه البنيات "تستهدف نجاعة النص في المقام التواصلي، وبعبارة أخرى فإن المستعمل إنما يلجأ إلى بعض البنيات البلاغية لأغراض استراتيجية، أي لكي يوفر شروط القبول لكلامه عند المخاطب، ولكي يراه. تبعاً لذلك. وقد أحدث عند الاقتضاء أثراً (معرفةً أو فعلاً)"^{٢٥}، ولهذا نجد

^{٢٥} فان دايك، النص بنياته ووظائفه، مدخل أولى لعلم النص، مقال ترجمه د. محمد العمري،

نجاحة التواصل مرهونة بتأدية الظواهر البلى اغية لغاياتها، ثم إن هذه التأدية مرهونة بدورها بتناسب صياغة وتناسب التوظيف، "فلا يمكن الزعم بأن الناس من الممكن أن يثاروا لعمل شيء معين بقراءتهم لنص من الجداول الزمنية مثلاً" ^{٢٦}، لأنه ليس استعمالاً مكثفاً، ولا هو موظفاً لتأدية غرض ما.

وقد أشار (بليت) إلى أن اتجاه البلاغة إلى الأثر التداولى يرجع إلى تمييزها بين أنماط المقاصد على اختلاف أنواعها من مقاصد أدبية أو خطابية ، وقد حددها في هذه الأغراض :

أ (الغرض التعليمى الذي يهتم بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف.

ب) الغرض الحجاجى ويتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكناً بالرجوع إلى العقل.

ج) الغرض الأخلاقى ويتعلق بتعليم المستمع في مجال الأخلاق ويتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية كما يتضمن دعوة إلى العقل. ^{٢٧}

وقد أدى هذا البعد الوظيفى إلى اتساع مجال التطبيق، فهو يشمل "الخطابة في المحاكم، حيث يأخذ الادعاء أو الدفاع في إثبات الحق أو الباطل ، كذلك الخطب السياسية التي فيها توزن الميزات والعيوب، والفوائد والخسائر في القرارات والنظم الحاكمة، كذلك الحشود في الأعياد التي يتم فيها توزيع المدح والذم." ^{٢٨}

وإذا كانت إشارات (بليت) تركز على وجود الغاية الإقناعية في البلاغة القديمة، فإن الدرس البلاغى الحديث يهتم أيضاً بالجانب الإقناعى الذي لم يكن موقوفاً على الاتجاه البرهانى المتمثل في نظرية الحجاج أو بلاغة الحجاج Argumentation إذ يدخل أيضاً في اهتمام تيار البلاغة العامة " فنظرية الحجاج تنميه وتوسعه وتطوره لتدمجه في هموم البحث التداولى الحديث، والبلاغة العامة تسترجعه بعد أن ضاع منها في ظروف تاريخية غير مواتية لتطوير نظرية بلاغية." ^{٢٩}

ولعل اتصال البعد التداولى ببلاغة الحجاج (البرهان) أوثق منه بالبلاغة العامة، لاهتمام بلاغة البرهان بالجانب الإقناعى الذي يأخذ في اعتباره المتلقى، وبذلك تولى هذه البلاغة البعد التداولى جل اهتمامها، ومن ثم كان ارتباط الدراسات الحديثة للبلاغة بدراسات الاتصال الجمعى،

^{٢٦} The Social Function of Rhetorical forms , in The Social Use of Metaphor, Edited by : David Sappir & Christopher Crocker ,U.S.A. , 1977, p.33

^{٢٧} هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق ص ١٧

^{٢٨} برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: د. محمود جاد الرب، ص ١٦٤

^{٢٩} د. محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين ، الدار البيضاء ١٩٩٦ ، ص ١٣٢

ولذلك كان من وظائفها إعداد الإنسان لأسلوب جيد بتوفير " القواعد وإعداد النماذج التي يستطيع المتكلم بمساعدتها إقناع سامعيه بحديثه وبمقدرته على تحقيق إثارة الشيء الذي يدافع عنه " ^{٣٠}، وبذلك يوضع المتلقي في بؤرة الاهتمام البلاغي على المستوى التداولي.

والفرق بين التداولية في البلاغتين: أنها تركز في بلاغة البرهان على إعداد (إحداث الأثر) بينما في البلاغة العامة تركز على دراسة (تحليل) الأثر، وبذلك تدخل التداولية ببلاغة البرهان في طور إعداد النصوص وإنتاجها، إلى جانب تحليل وسائل الإقناع في النصوص المنجزة لاستخدامها في تطوير عملية الإقناع، وبذلك تعد فكرة (المقاصد) هي أقوى ما يربط بلاغة البرهان بالبلاغة القديمة.

وإذا كان ثم فرق بين المتلقين فهو فرق في الدرجة " فالمحامي يخاطب قاضياً والشاعر المتغزل يخاطب امرأة ، ويتعين إقناع هذه المرأة المحبوبة، كما يتعين إقناع المتفرجين، فهم جميعاً سيصدرون أحكامهم بعد ذلك " ^{٣١}، وإلى قريب من هذا التداخل بين أجناس الخطاب ذهب (بليت) إلى أن الخطيب بحاجة إلى وسائل الشاعر، وأن الشاعر بحاجة إلى وسائل الخطيب إلى درجة يصير معها "الخطيب شاعراً والشاعر خطيباً، ويكون القصد في الحالين واحداً: الإقناع بواسطة الحلية اللغوية" ^{٣٢} ، والصواب أن هذا ليس إقناعاً ولكنه استمالة، فهو مؤسس على أساس جمالي عاطفي تغيب عند المرأة المخاطبه به مجرد التفكير في ثنائيات الكذب والصدق ، وثنائية الحقيقة والجمال.

وينطلق (بليت) من المقاصد في البلاغة القديمة ذاكراً أنها مؤهلة لتكوين أسس (نظرية تداولية النص)، فيؤلف بين الأجناس الخطابية والأدبية تداولياً: فيلحق بالجنس القضائي دراما النقد الاجتماعي والهجاء والتقريظ، وبالجنس الاستشاري النص الاشهاري والشعر التعليمي والخرافة والموعظة، وبالجنس الاحتفالي المدح والهجاء وأدب المناسبات، وبذلك يعتبر عمل (بليت) "خطة شاملة لاستيعاب البلاغة القديمة في إطار سيميائي حديث، فبالإضافة إدراج قوائم مصطلحية واسعة في الخطاطة التركيبية الحديثة حاول توسيع مفهوم المقام في إطار الحديث عن المقاصد، وإعطائه قدراً كبيراً من المرونة والإجرائية" ^{٣٣}

^{٣٠} كبدى فاركا : المقام في الأجناس الخطابية والأجناس الأدبية من كتابه, Rhetorique Et Literature, Paris 1970، ترجم المقال د.محمد العمرى : ونشره ضمن كت ابه نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص

^{٣١} المرجع السابق والصحيفة

^{٣٢} هنريش بليت : البلاغة والأسلوبية ، ص ٢١

^{٣٣} د. محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين، ص ١٣٥، ويُراجع عيد بلبع، التداولية. البُعد الثالث في

ربط الجاحظ في مشروعه: (البيان والتبيين) بين الغايات والوسائل، الوسائل التي عُمِدتها اللغة، والغايات التي تشمل الإبانة والإبلاغ، بدءًا مما تؤديه الوظيفة العامة للغة في التواصل، وانتهاءً بوظيفة اللغة في تحقيق الغاية الإقناعية، وهذه الغاية الإقناعية هي أقصى غايات البلاغة، ولا تؤثر مستويات الغايات في ضرورة حاجتها إلى الإبانة، وكلام الجاحظ مطلقاً من هذه الوجهة: "فإنه لا خير في كلام يدل على معنك ولا يشير إلى مغزك"^{٣٤}، ولكننا مع هذا مسئولون معرفياً عن التمييز بين مستويات الغايات التي تتميز طرائق استعمال اللغة تبعاً لها، لنصل إلى التفريق الطبقي بين استعمالين:

فنطرح المستوى المعرفي العام للبيان الذي يُعد لغوياً سميائياً عاماً عن ساحة دراستنا هنا، ويُبقي على المستوى الإقناعي التداولي الخاص الاستعمال الذي هو البلاغة.^{٣٥} ولكن غاية الإبلاغ والإبانة والتبيين ليست محايدة دائماً، فهل هي الحقيقة أم منظور المتكلم للحقيقة: أي ما يراه المتكلم حقيقة، أو ما يرى المتكلم أنه حقيقة، أو ما يرى المتكلم أنه هو الحقيقة؟

إن غايات المتكلم لا تكون بالضرورة موافقة لرؤيته أو لرأية أو لاعتقاده، فقد تكون حيلة مراوغة في سياقات المداراة، فتأتي على سبيل المسايرة لإكراهات اجتماعية أو سياسية أو إدارية، وقد تكون لتحقيق غاية نفعية مادية أو معنوية، وقد تكون في سياقات الملهاة الهزلية مواطأةً بين المتكلم والجمهور كما سياق النقائض الهجائية في العصر الأموي بين جرير والفرزدق، وقد ربط الجاحظ بين الحجة والحاجة، فالقصور في البيان يؤدي إلى إخلال الحجة، الذي يؤدي بدوره إلى فوت إدراك الحاجة^{٣٦}، التي تتوزع بين الإقناع والتأثير والاستمالة والاضطرار والإكراه والمحاصرة والإفهام والإفحام، الغاية الملتبسة بالغرض الذي لا يقتصر على كونه مجرد نشاط تصنيفي ولكن البحث البلاغي هو بيان (الوقوف على) الكيفية التي أدى (حقق) بها الكلام الغاية منه، إنه بحث في وظيفة الاستعمال الخاص للغة.

وما القول بالجدید والقديم إلا قول في منهج الرؤية، أما مدى الوقوف على الفروق أو إغفالها، ونسبية الإدراك التحليلي، ونسبية إدراك الفروق وتحديد الخصائص، فليس ثم من شك في أنه يعتمد على مهارة البلاغي.

سميوطيقاً موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط بلنسية، القاهرة ٢٠٠٨م ص

^{٣٤} الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٦

^{٣٥} د. محمد العمري، أصولها وامتداداتها ص ١٩٩

^{٣٦} الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٢